

Interpretation in Qualitative Research between Emic and Etic Perspectives: Challenges of Practice and Artificial Intelligence

Salim Bin Abdullah ALHarthy^{1*}, Hussain Bin Ali AlKharusi²

¹ PhD Student, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman.

² Professor of Measurement and Evaluation, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman.

* Corresponding Author: Salim ALHarthy (s147775@student.squ.edu.om)

التفسير في البحث النوعي بين الإيميك والإيتيك: إشكاليات الممارسة وتحديات الذكاء الاصطناعي

سالم بن عبدالله الحارثي^{1*}، حسين بن علي الخروصي²

¹ طالب دكتوراة- جامعة السلطان قابوس- سلطنة عمان.

² أستاذ في القياس والتقويم- جامعة السلطان قابوس- سلطنة عمان.

* الباحث المراسل: سالم الحارثي (s147775@student.squ.edu.om)



This file is licensed under a
[Creative Commons Attribution 4.0 International](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

Accepted	Revised	Received
قبول البحث	مراجعة البحث	استلام البحث
2026/4/21	2026/4/7	2026/3/16
DOI: https://doi.org/10.31559/EPS2026.15.4.6		

Abstract:

Objectives: This paper addresses the problem of interpretation in qualitative research as a positional epistemological act shaped by the creative tension between the emic insider perspective and the etic outsider perspective, a tension frequently reduced or ignored in actual research practice. The paper pursues four objectives: conceptualizing interpretation and distinguishing it from description and analysis; tracing the origins and conceptual evolution of the emic-etic distinction; identifying prevalent interpretive failures in research practice; and critically examining the use of artificial intelligence as a substitute for human interpretive agency.

Methods: The paper adopts a conceptual-analytical approach, grounded in a critical review of the methodological literature on qualitative interpretation, the emic-etic distinction, and the applications of artificial intelligence in qualitative research.

Results: The paper identifies four recurring patterns of interpretive imbalance: description disguised as interpretation, etic imposition, emic immersion, and unjustified theoretical leap. Regarding artificial intelligence, three structural absences are identified as precluding genuine qualitative interpretation: the lack of lived experience, the reproduction of bias concealed within neutrality discourse, and the absence of authentic reflexivity.

Conclusions: The paper proposes a six-stage guiding framework designed to orient researchers toward epistemologically aware interpretation, concluding that qualitative interpretation is an irreducibly human act that cannot be delegated to any tool, regardless of its technical sophistication.

Keywords: artificial intelligence; emic perspective; etic perspective; qualitative interpretation; reflexivity.

الملخص:

الأهداف: تعالج هذه الورقة إشكالية التفسير في البحث النوعي بوصفه فعلاً إبستمولوجياً موقعاً يتشكل في التوازن بين المنظور الداخلي والمنظور الخارجي للظاهرة. ويسعى إلى تحقيق أربعة أهداف: تأصيل مفهوم التفسير وتمييزه عن الوصف والتحليل، وتتبع أصول ثنائية الإيميك والإيتيك وتطورها المفاهيمي، ورصد أبرز إشكاليات التفسير في الممارسة البحثية، ونقد توظيف الذكاء الاصطناعي بديلاً عن الممارسة التفسيرية الإنسانية.

المنهجية: تعتمد المقال المنهج المفاهيمي التحليلي القائم على مراجعة نقدية للأدبيات المنهجية المتعلقة بالتفسير النوعي وثنائية الإيميك والإيتيك وتوظيفات الذكاء الاصطناعي في البحث النوعي.

النتائج: كشفت الورقة عن أربعة أنماط متكررة لاختلال التفسير: الوصف المتنكر في ثوب التفسير، والإسقاط الإيتيكي، والانغماس الإيميك، والقفز التنظيري غير المبرر. وفيما يخص الذكاء الاصطناعي، حُددت ثلاث غيابات بنيوية تحد من قيامه بالتفسير النوعي: انعدام التجربة المعاشة، وإعادة إنتاج الانحياز مُغلَفاً بخطاب الحياد، وغياب الانعكاسية الحقيقية.

الخلاصة: تقدّم الورقة إطاراً إرشادياً يتضمن ست مراحل متكاملة تُرشد الباحث نحو تفسير واعٍ بالموقع الإبستمولوجي، منتهياً إلى أن التفسير النوعي فعلاً إنساني أصيل لا يمكن تفويضه لأداة مهما بلغت كفاءتها التقنية.

الكلمات المفتاحية: الإطار الإرشادي؛ الانعكاسية؛ الذكاء الاصطناعي؛ التفسير النوعي؛ المنظور الإيتيكي؛ المنظور الإيميك.

الاستشهاد

Citation

الحارثي، سالم، الخروصي، حسين. (2026). التفسير في البحث النوعي بين الإيميك والإيتيك: إشكاليات الممارسة وتحديات الذكاء الاصطناعي. *المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية*, 15 (4), 556-566.

ALHarthy, S. A., & AlKharusi, H. A. (2026). Interpretation in Qualitative Research between Emic and Etic Perspectives: Challenges of Practice and Artificial Intelligence. *International Journal of Educational and Psychological Studies*, 15(4), 556-566. <https://doi.org/10.31559/EPS2026.15.4.6> [In Arabic]

المقدمة:

يجد الكثير من الباحثين في نهاية مرحلة جمع البيانات النوعية أنفسهم أمام كم ضخم من البيانات النوعية الخام، مثل المقابلات المفرّغة، والملاحظات الموثّقة، والمشاهد المسجلة، وغيرها من البيانات. فيساورهم تساؤل جوهري يبدو في ظاهره بسيطاً، إلا أنه ينطوي على إشكالية منهجية بالغة الأثر: كيف يمكن التمييز ما بين التفسير الحقيقي للبيانات وإعادة صياغتها في قالب أكاديمي مغاير؟ لا يعكس هذا التساؤل قصوراً فردياً في الباحث، بل يجسد أزمة منهجية تعترى ممارسات البحث النوعي على نطاق واسع؛ إذ يؤثّق (1994) Wolcott هذه الظاهرة حين أشار إلى أن غالبية الباحثين ينفون عند حدود الوصف، معتقدين بذلك أنهم بلغوا مرحلة التفسير، في حين أنهم لم يتجاوزوا عتبة إعادة الصياغة.

لا تقتصر إشكالية التفسير على الخلط بينه وبين الوصف، بل تمتد إلى بعد أوسع يتعلق بطبيعة الموقع المعرفي الذي ينطلق منه الباحث حين يقوم بعملية تفسير البيانات. فالتفسير لا ينبثق في فراغ موضوعي محايد، بل يتشكل في خضم توازن حقيقي بين عالمين متميزين: عالم المشاركين الداخلي بما يحمله من معانٍ وتصورات ومنطق خاص، وهو ما تعرّفه الأدبيات بالمنظور الإيميك (Emic)، وعالم الباحث الخارجي بما يستند عليه من أطر فلسفية ونظرية وخلفيات أكاديمية، وهو ما يعرف بالمنظور الإيتيك (Etic). وقد أرسى (1967) Pike هذا التمييز كأساس منهجي حين نقل المفهومين من حقل اللسانيات إلى ميدان العلوم الإنسانية، مستنداً إلى أن الفهم العميق لأي ظاهرة بشرية يستلزم وعياً نقدياً دقيقاً بهذا التوازن لا تجنبه أو تجاوزه. وعلى الرغم من أن هذا التمييز يعد ركيزة منهجية في الأدبيات الغربية، من الأنثروبولوجيا الثقافية إلى علم النفس عبر الثقافي، وصولاً إلى البحث النوعي، فإن توظيفه في الكتابة الأكاديمية العربية لا يزال محدوداً. وقد استخدمه بعض الباحثين في مجالي الترجمة والتعبير الثقافي (Almanna & Farghal, 2015)، وفي دراسات الإدارة والظواهر الاجتماعية ضمن السياق العربي (Ali et al., 2024)، غير أن توظيفه في منهجية البحث النوعي وإشكاليات التفسير تحدياً لا يزال يحتاج إلى تسليط الضوء عليه بشكل أكبر، مما يشكل فجوة أكاديمية جديرة بالاعتبار.

بالإضافة إلى الإشكالية السابقة يظهر تحديّ معاصر يفرضه التوسع المتسارع في توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في حقل البحث النوعي. فقد دفعت العجلة المتسارعة لمحرركات وأدوات الذكاء الاصطناعي شريحة من الباحثين نحو تفويض مهام التحليل والتميز، بل والتفسير في بعض الأحيان إلى هذه الأدوات؛ وهو ما وصفه (2025) Chatzichristos بأنه يمثل العودة الضمنية للوضع في هيئة رقمية معاصرة. وفي هذا السياق لا بد من طرح مجموعة من التساؤلات الجوهرية: هل يمكن لأداة تفتقر للتجربة المعاشة والالتقاء الثقافي والوعي الذاتي أن تقوم بعملية التفسير؟ وهل يمكن تحقيق ادعاء الحياد الذي تتبناه هذه الأدوات بشكل واقعي؟ وهو في حقيقته إيتيكية مُقنّعة تحمل في بنيتها تحيزات الخوارزميات التي تم برمجتها مسبقاً، ثم تقوم بإعادة انتاجها بصورة غير مُعلنة.

تنطلق هذه الورقة البحثية من فكرة مركزية مفادها أن التفسير النوعي عبارة عن فعلٍ إستيمولوجي موقفي، يتشكل في ظل التوازن ما بين المنظور الإيميك والمنظور الإيتيك، ولا يقبل الاختزال في إجراء تقني مجرد، كذلك لا يصح تفويض هذه المهمة لأدوات تعجز عن امتلاك الوعي الذاتي والانتماء الثقافي. كما أن هذا التوازن ليس عائقاً ينبغي تجاوزه أو حسمه، بل هو المحرك للفهم الإنساني وشرطه الجوهري.

كما تسعى هذه الورقة إلى تحقيق أربعة أهداف: أولاً، تأطير مفهوم التفسير في البحث النوعي وتمييزه عن المفاهيم القريبة منه. ثانياً، استيعاب مفهومي الإيميك والإيتيك في سياقهما التاريخي وتطورهما الأكاديمي، كذلك توضيح دورهما المحوري في عملية التفسير. ثالثاً، تشخيص إشكاليات التفسير الشائعة في الممارسة البحثية النوعية ونقدها في ضوء التوازن بين المنظورين. رابعاً، مناقشة التحديات التي يفرضها الذكاء الاصطناعي على التفسير النوعي، وتقديم إطار إرشادي مقترح للتوظيف الواعي للمنظورين.

وانطلاقاً من هذه الأهداف، تسعى هذه الورقة للإجابة عن الأسئلة البحثية الآتية:

- السؤال الأول: كيف يتميّز التفسير في البحث النوعي عن الوصف والتحليل في ضوء ثنائية المنظور الإيميك والمنظور الإيتيك؟
- السؤال الثاني: ما أبرز إشكاليات التفسير الشائعة في الممارسة البحثية النوعية في ضوء التوازن بين المنظور الإيميك والمنظور الإيتيك؟
- السؤال الثالث: ما حدود توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في التفسير النوعي في ضوء غياباتها البنيوية عن المنظور الإيميك؟

ملاحظة اصطلاحية: يعتمد البحث مصطلحي الإيميك (Emic) والإيتيك (Etic) تعريفاً صوتياً مباشراً، نظراً لعدم وجود أدبيات عربية متخصصة في ترجمة موحدة للمصطلحين. كما قام بعض الباحثين بالتعبير عنهما بـ "المنظور الداخلي" و "المنظور الخارجي"، تظل هذه الترجمة الوصفية قاصرة عن استيعاب الدقة الاصطلاحية للمفهومين؛ إذ قام (1967) Pike باشتقاقهما من ثنائية الفونيميك (Phonemic) والفونيتيك (Phonetic) في اللسانيات، ليشيرا إلى موقعين معرفيين متميزين، لا مجرد وصفين جغرافيين لمكانة الباحث. ولذا رأى الباحثان أن التعريب الصوتي مقترناً بالمصطلح الإنجليزي يحقق الدقة والوضوح، وهو نهج موجود في الأدبيات العربية الأكاديمية كالأنتيمولوجيا والهيرمينوطيقا وسواها.

وانطلاقاً من هذه الإشكاليات، تهدف هذه الورقة لتقديم مقالاً نظرياً نقدياً يعتمد منهجية التحليل المفاهيمي والنقد الإستيمولوجي. وقد تمت مراعاة ثلاثة معايير عند اختيار الأدبيات كالتالي: الصلة المباشرة بإشكالية التفسير وثنائية الإيميك والإيتيك، الأعمال التي أرسّت أساسيات المفاهيم وإسهامات التطوير، وكذلك سياق توظيف الذكاء الاصطناعي في حقل البحث النوعي.

القسم الأول: الخلفية النظرية والمفاهيمية

أولاً: التفسير: المفهوم والموقع المنهجي

لا يُختزل التفسير في البحث النوعي في إجراءٍ يقترن بمرحلة محددة، بل حالة تأملية تمتد على العملية البحثية بشكل كامل. وقد ميّز Wolcott (1994) بين ثلاث عمليات متميزة: الوصف، الذي يجيب عن سؤال "ماذا يحدث؟"، ثم التحليل، الذي يتم من خلاله الكشف عن الأنماط والعلاقات، والتفسير، الذي يتم من خلاله استكشاف المعاني. ويُشير (Wolcott, 1994) إلى أن كثيراً من الباحثين يتوقفون عند الوصف متوهمين بلوغ التفسير، وهو ما يكشف عن أزمة منهجية لا قصور فردياً.

ويرى (Braun & Clarke, 2006, 2021) أن التفسير الجيد يتجاوز المحتوى الدلالي الصريح نحو الافتراضات الكامنة التي تُشكّل ما يُعبر عنه المشاركون ضمناً، مما يجعله عملية بنائية يُسهّم فيها الباحث بخبرته وموقفه الفلسفي لا مجرد نقل للمعطيات. ويمكن تحديد أربعة مستويات تفسيرية متدرّجة: التفسير الوصفي الذي يُعيد صياغة أقوال المشاركين بلغة أكاديمية دون قيمة مضافة، والتفسير الدلالي الذي يستخلص المعنى الصريح المُفصّل عنه، والتفسير الكامن الذي يستكشف ما لم يُصرّح به لكنه حاضر في البنى الخطابية والاجتماعية، والتفسير النظري الذي يربط المستخلص بالأطر النظرية الأوسع متجاوزاً الحالة الفردية (Braun & Clarke, 2006; Wolcott, 1994). والمثير للقلق أن كثيراً مما يوصف بالتفسير لا يتجاوز المستوى الأول؛ إذ يرتب الباحث اقتباسات مشاركته موضوعياً ويُعنونها، ظاناً أن ذلك تفسير، في حين أن التفسير الحقيقي يستلزم قيمة مضافة لا تصدر إلا عن وعي الباحث وموقفه الفلسفي. وقد أشارت Tracy (2010) إلى أن غياب التفسير يُفضي إلى بحث يُشبه التقرير الصحفي، مُخلاً بمعيار "الصدق التأويلي" الذي يقتضي شفافية مسار الانتقال من البيانات إلى الاستنتاجات.

ثانياً: الإيميك والإيتيك: الأصول والتطور المفاهيمي

يعود مفهوم الإيميك والإيتيك في أصلهما إلى عالم اللسانيات Kenneth Pike الذي صاغهما عام 1967 مستلهماً إياهما من ثنائية الفونيميك (Phonemic) والفونيتيك (Phonetic) اللسانية؛ إذ يدرس الفونيتيك الأصوات من حيث خصائصها الفيزيائية الموضوعية الخارجية، في حين يعمد الفونيميك إلى دراسة الأصوات من حيث وظيفتها ومعناها داخل النظام اللغوي بعينه. ويرى Pike (1967) أن هذا التمييز يمتد إلى ما هو أوسع من اللغة ليعدو أداةً منهجية يمكن توظيفها في دراسة السلوك الإنساني؛ فالإيميك يُحيل إلى المنظور الداخلي للثقافة أو المجموعة المدروسة كما تعيشه وتُدركه من الداخل، بينما يُحيل الإيتيك إلى المنظور الخارجي الذي يعتمده الباحث مستنداً إلى أطره النظرية ومقارباته الأكاديمية. وقد أثار هذا التمييز جدلاً أكاديمياً تجلّى في الكتاب الذي حرّره Headland et al. (1990) بعنوان Emics and Etics: The Insider/Outsider Debate، حيث تناول المؤلفون فيه طبيعة العلاقة بين المنظورين ومدى تنافسهما أو تكاملهما. وفي سياق موازٍ، طوّر Harris (1976) هذا التمييز في اتجاه مغاير نسبياً، مُركّزاً على الإيتيك بوصفه وصفاً للسلوك الملاحظ وفق معايير موضوعية خارجية في مقابل الإيميك المنبثق من التأويلات الداخلية للفاعلين أنفسهم. وتُشير الأدبيات إلى أن هذا النقاش لم يُفض إلى إلغاء أحد المنظورين لصالح الآخر، بل كشف عن عمق العلاقة بينهما وتعقيدها. وقد لاحظ Buckley et al. (2014) أن الافتراض الشائع القائل بأن الدراسات الإيتيكية أكثر علمية وموضوعية افتراضٌ مُضلل؛ إذ أثبتت دراسات عديدة أن المنظور الإيميك يُضيف قيمة معرفية لا يستطيع الإيتيك تحقيقها، لا سيما في السياقات التي تختلف فيها التصورات المحلية اختلافاً جوهرياً عن الأطر النظرية الوافدة من خارجها.

في البحث النوعي، يُمثّل الإيميك والإيتيك قطبين تفسيريّين لا خيارين متعارضين؛ إذ يدخل كل باحث الميدان حاملاً أطره الإيتيكية ساعياً في الوقت ذاته إلى استيعاب العالم الإيميك لمشاركته. وقد اقترح Galperin et al. (2022) دورة بحثية تسير وفق مسار: إيميك - إيتيك - إيميك، تبدأ بالانغماس في عالم المشاركين ثم معالجته بالأطر النظرية التي يتبناها الباحث ثم العودة للتحقق منهم، مُجسّدة ما يمكن تسميته "التوازن بين المنظور الداخلي والمنظور الخارجي للظاهرة (Creative tension)". وقد أوضح Hoare et al. (2013) أن الإيميك والإيتيك لا يُمثّلان قطبين متقابلين، بل نقطتين على طيف فلسفي متحرك، وأن موقع الباحث على هذا الطيف يتبدّل تبعاً لعلاقته بالموضوع وبالمشاركين وبالسياق. وفي السياق العربي، وُظّف هذا التمييز في الترجمة لفهم التعبيرات الثقافية (Almanna & Farghal, 2015)، وكذلك في دراسات الإدارة لاستيعاب الظواهر الاجتماعية من داخل سياقها (Ali et al., 2024)، غير أن حضور هذا التمييز في أدبيات مناهج البحث التربوي والنفسي العربي لا يزال دون مستوى أهميته المنهجية؛ إذ يظل في معظم الأحيان مفهوماً مُستعاراً من السياق الأنثروبولوجي الغربي دون أن يُخضع لمعالجة نقدية تُكَيّفه مع خصوصية البحث النوعي في السياق العربي وإشكالياته المعرفية المتميزة.

ثالثاً: الإيميك والإيتيك وعملية التفسير: تجليات في التقاليد البحثية

تميل المناهج النوعية إلى الانطلاق من مواقع متباينة على الطيف الإيميك-الإيتيك مُنتجاً أنماطاً تفسيرية متميزة. فالتحليل الظاهراتي التأويلي (IPA) كما طوّره Smith et al. (2009) يميل نحو المنظور الإيميك ليستوعب التجربة المعاشة من منظور المشارك الداخلي عبر دائرة تأويلية تُحاور المنظورين معاً. كما تنطلق النظرية المجذّرة من موقف إيميك منفتح على البيانات لتنتهي إلى منتج إيتيك وهو النظرية (Galperin et al., 2022). أما المنظور النقدي فيُفصّل عن أطره الإيتيكية منذ البداية موظفاً إياها لكشف ما قد يعجز الإيميك عن رؤيته بسبب الهيمنة التي يعيشها من الداخل. وقد استوعب Geertz (1973) هذا التوازن في مفهوم الوصف الكثيف، مُؤكّداً أن الفهم الإيميك يستلزم تكتيف السياق لجعل السلوك مفهوماً في إطاره الثقافي؛ فالفارق بين من يُحرّك جفنه ومن يغمر ليس في الحركة، بل في المعنى الثقافي، وهذا ما يسهم فيه التفسير الإيميك خلافاً للوصف غير المكثف. وتؤكد الأدلة التجريبية خطورة الخلل في هذا التوازن؛ إذ وجد Jackson & Niblo (2003) أن أكثر من 93% من الأبحاث المقارنة بين الثقافات اعتمدت "إيتيكية مفروضة"، مما يُجسّد أزمة منهجية تُؤكّد أن الميل نحو الإيتيكية المفروضة هو النمط السائد في غياب الوعي المنهجي.

القسم الثاني: إشكاليات التفسير في الممارسة البحثية

لو كان التفسير كفايةً إجرائية قابلة للاكتساب بالتدريب، لما استمر النقاش حوله في الأدبيات المنهجية جيلاً بعد جيل بالنقد والمراجعة. بيد أن إشكالياته تتجدد لا لأن الباحثين يجهلون المفهوم نظرياً، بل لأن الانزلاق نحوها يقع في الغالب بصورة غير واعية. وقد نبّه Patton (2015) إلى أن أخطر الأخطاء المنهجية في البحث النوعي هي تلك التي تتنكر في هيئة ممارسة سليمة. وتنظم هذه الإشكاليات في أربعة أنماط متميزة، يُمثّل كل منها شكلاً من أشكال الإخلال بالتوازن بين المنظورين الإيميك والإيتيك.

أولاً: الوصف المتنكر في ثوب التفسير

تُعَدُّ هذه الإشكالية الأكثر انتشاراً والأشد خطورةً في أي واحد، وصورتها الأكثر شيوعاً أن يُعيد الباحث صياغة أقوال مشاركيه بلغة أكاديمية، أو يُرتّب اقتباساتهم موضوعياً، أو يُسَيِّم مجموعات الأقوال المتشابهة "موضوعات"، ثم يُطلق على ذلك مسيئة التفسير. والفارق الجوهرى أن التفسير الحقيقي يستلزم قيمة مضافة لا تصدر إلا عن وعي الباحث وموقفه الفلسفي الذي يرصد أنماطاً في البيانات لا تُكشف بمجرد إعادة الصياغة. وترتبط هذه الإشكالية ظاهرة "اختطاف المشارك للتفسير"، إذ يختفي الصوت التحليلي للباحث خلف سيل من الاقتباسات المتتالية تاركاً للقارئ عبء استخلاص المعنى، فيتحوّل الباحث من مُفسِّر إلى ناقل ومن صاحب موقف معرفي إلى وسيط لغوي. وقد أشارت Tracy (2010) إلى أن هذا النمط يُفضي إلى بحث يُشبه التقرير الصحفي لا الإنتاج العلمي، مُخلاً بمعيار "الصدق التأويلي" الذي يقتضي شفافية مسار الانتقال من البيانات إلى الاستنتاجات.

والجذر المنهجي لهذه الإشكالية هو الانغماس الإيميكى دون توازن إيتيكى كافٍ؛ فالتفسير الصحيح يبدأ من النقطة التي ينتهي فيها كلام المشاركين، حين يتساءل الباحث: لماذا قيل هذا بهذه الصياغة؟ وما الذي لم يُقَلَّ وكان بالإمكان قوله؟ وماذا يعني ذلك في سياقه الأشمل؟

ثانياً: الإسقاط الإيتيكى: الفخ الخفي للباحث

يظهر هذا النمط في الطرف المقابل من الطيف، وهو أشدّ التباساً لأنه يبدو في ظاهره تفسيراً عميقاً. يحدث حين يدخل الباحث الميدان مُسلّحاً بأطر نظرية جاهزة فيجذب في البيانات ما يبحث عنه مسبقاً، مُفسِّراً ما يسمعه على ضوء ما يعرفه بدلاً من أن يدع المعنى يبرز من داخل العالم الإيميكى للمشاركين. والنتيجة تفسيرات تبدو متماسكة نظرياً لكنها تُحجّل المشاركين معاني لم يُعبروا عنها.

وقد رصدت الأدبيات هذه الإشكالية بوضوح؛ إذ لاحظ Jackson & Niblo (2003) أن الهيمنة الإيتيكية أفضت في الدراسات المقارنة بين الثقافات إلى مقارنات إثنومركزية قد تفرض على المجتمعات غير الغربية مقولات لم تنشأ من داخلها، فتغدو النتائج انعكاساً لأدوات الباحث لا لواقع المشاركين. وبالمثل، كشف Buckley et al. (2014) أن الأطر النظرية الغربية حين تُفرض على سياقات مغايرة تُنتج فهماً منقوصاً، لأنها تُصنّف ما لا ينتمي إلى تصنيفاتها باعتباره شاذاً أو غير منطقي. ويُحذّر Patton (2015) من أن الأطر النظرية ينبغي أن تُضفي وضوحاً للبيانات لا أن تُشكّلها، وأن المعالجة لا تكمن في التخلص من الأطر الإيتيكية - إذ أن هذا مستحيل ومضلل - بل في الوعي بها ومعالجتها بانعكاسية مستمرة تُبقيها في خدمة البيانات لا مهيمنة عليها.

وثمة بُعد دقيق جدير بالإشارة: الإسقاط الإيتيكى لا يُنتج دائماً الباحث الحامل لأطر نظرية مُعلنة، بل قد يُنتج أيضاً الباحث الحامل لافتراضات ثقافية ضمنية لم يُخضعها للمساءلة النقدية. فالأطر الإيتيكية الأكثر خطورةً هي تلك التي يحملها الباحث دون أن يدرك حملها.

ثالثاً: الانغماس الإيميكى: الذوبان وفقدان المسافة

يُجسّد الانغماس الإيميكى المفرط إشكالية من طبيعة مختلفة، يحدث حين يتمهى الباحث مع مشاركيه إلى حدٍّ قد يفقد فيه القدرة على التساؤل النقدي وتحليل ما يلاحظه، فيتحوّل من مُفسِّر إلى راوٍ ومن إنتاج علمي إلى شهادة إنسانية - ذات قيمة بالطبع، لكنها تفتقر إلى المسافة التحليلية التي تُميّز البحث العلمي عن التوثيق الأدبي. وقد ناقشت Finlay (2002) هذه المعضلة مُشيراً إلى أن الباحث يحتاج إلى "المسافة الانعكاسية" التي تُتيح له أن يكون منغمساً كفايةً ليفهم ومتابعداً كفايةً ليُفسِّر، لا بادعاء الحياد، بل بالوعي النشط بموقعه على الطيف الإيميكى-الإيتيكى.

وتكشف الأدلة التجريبية أن هذه الإشكالية تنشأ أحياناً من طبيعة العلاقة البنيوية بين الباحث وموضوع بحثه لا من الميل العاطفي وحده؛ وقد وثّق Hoare et al. (2013) حالة كاشفة لهذه الإشكالية، إذ درست ممرضة باحثة ظاهرةً في العيادة التي تعمل فيها يومياً، فوجدت أن الألفة العميقة بينة الدراسة - بدلاً من أن تُيسِّر التفسير - حالت دون قدرتها على النظر إليها بعين تحليلية خارجية؛ إذ كانت ترى ما تعودت رؤيته لا ما تحتاج إلى تفسيره، فتدخلت لديها حدود الوصف والتفسير وضاعت المسافة الانعكاسية الضرورية للإنتاج العلمي. وتتفاقم هذه الإشكالية حين يُضاف إليها بُعد هوياتي؛ فقد وثّق Olive (2014) تجربته بوصفه باحثاً يدرس مجموعةً يشترك معها في بُعد هوياتي، ليكتشف أن الافتراض المسبق بالفهم الإيميكى كان هو بالضبط ما أعاق تفسيره في مراحله الأولى. والدرس المنهجي بالغ الأثر: الانتماء لا يُعادل الفهم، والألفة قد تُعني بقدر ما تُبْهر.

رابعاً: القفز التنظيري وغياب التدرج المنهجي

تتجلى هذه الإشكالية في انتقال الباحث من بيانات محدودة إلى استنتاجات عامة واسعة دون مسار تفسيري مقنع يربط البيانات بالاستنتاج ربطاً قابلاً للتتبع، مُنتجاً تفسيراً تعجز البيانات عن حمله. والجذر المنهجي هو القفز المبكر من الإيميكى الجزئي إلى الإيتيكى الأشمل دون اجتياز المراحل الوسيطة؛ فالتفسير النظري الذي يُمثّل أعلى المستويات الأربعة التي حددها Braun & Clarke (2006) لا يُنجز بقفزة واحدة من البيانات الخام، بل يستلزم تدرجاً عبر المستويات: الوصفي والدلالي والكامن قبل بلوغ الاستنتاجات النظرية.

وتوصي الأدبيات بمبدأ التجذير (Grounding)، أي أن يكون كل استنتاج متصلًا بالبيانات اتصالاً قابلاً للتتبع. ويُضيف (Patton 2015) ضرورة البحث النشط عن الحالات السلبية والمخالفة واعتبارها ثروة منهجية لا عتبة؛ إذ أن التفسير الذي يعجز عن استيعاب الاستثناء يكشف عن ضعف بنيوي لا عن متانة.

وتبقى هذه الإشكاليات الأربع متشابكة في الممارسة الفعلية؛ إذ أنه نادرًا ما تظهر إحداها بصورة خالصة، وقد يجمع البحث الواحد بين وصف متناكر في هيئة تفسير، وإسقاط إيتيكي في المناقشة، وانغماس إيميك في مرحلة جمع البيانات، وقفز تنظيري في الاستنتاجات. ولهذا فإن معالجتها لا تتحقق بإجراءات تقنية بعينها، بل بتنمية وعي منهجي مستمر يُرافق الباحث في كل مراحل بحثه، وهو ما يُشكل الركيزة الأساسية للإطار الإرشادي الذي تُقدِّمه هذه الورقة.

القسم الثالث: الذكاء الاصطناعي وأزمة التفسير النوعي

أولاً: مشهد متحوّل: الذكاء الاصطناعي في الفضاء البحثي النوعي

باتت أدوات معالجة اللغة الطبيعية (NLP) حاضرةً في عدد كبير من مراحل البحث النوعي: من تفرغ المقابلات وترجمتها، إلى تلخيص الوثائق وتصنيفها، وصولاً إلى الترميز الآلي للبيانات. وقد أفرز هذا الانتشار موجتين متوازيتين: تفاؤل مشروع بما توفره هذه الأدوات من وقت وجهد، وقلق مشروع بالقدر ذاته مما قد تُخلفه على جوهر البحث النوعي (Williams, 2024). وتكشف الأدلة التجريبية عن صورة دقيقة لمواقف الباحثين: إذ رصد Marshall & Naff (2024) أن غالبية الباحثين النوعيين يتقبلون توظيف الذكاء الاصطناعي في التفرغ والترجمة وبدرجة أقل في الترميز الأولي، لكنهم يتحفظون بشكل شديد على توظيفه في التفسير، وهو حدس منهجي يُشير إلى إدراك ضمني بأن ثمة حدًا فاصلاً بين ما تستطيعه الآلة وما يبقى حكرًا على الإنسان. لا تكمن الإشكالية الحقيقية فيما يُتقنه الذكاء الاصطناعي، بل فيما يدّعيه؛ فحين تُقدِّم هذه الأدوات ترميزاتها الوصفية في صورة تحليلات موضوعاتية، أو تعرض تلخيصاتها في هيئة تفسيرات، ينشأ وهم من العمق التفسيري قد يُضلّل الباحث المبتدئ والمتمرس على حدٍ سواء. وقد وصف Brailas (2025) هذه الظاهرة بأنها "تفويض للتفسير" يفضي إلى تقليل الدور الإنساني عن عملية هي في جوهرها إنسانية البناء، فيما ذهب Chatzichristos (2025) إلى تشخيصها بأنها عودة ضمنية إلى الوضعية في ثوب رقمي، حيث تُعيد إنتاج الوهم القديم بأن المعنى الإنساني قابل للاستخراج الموضوعي المحايد، وهو الوهم الذي قامت فلسفة البحث النوعي على نقده.

ثانيًا: ما يُتقنه الذكاء الاصطناعي: حدود الكفاءة التقنية

تُجز أدوات الذكاء الاصطناعي بكفاءة عالية جملةً من المهام اللوجستية التي كانت تستنزف وقت الباحث دون أن تُضيف قيمةً تفسيريةً؛ إذ تُتقن تفرغ المقابلات ومعالجة كميات ضخمة منها في وقت قياسي، وتلخيص المحتوى الصريح وإعادة صياغته، والترميز الوصفي القائم على تصنيف الكلمات والعبارات المتكررة، فضلاً عن رصد الأنماط في مجموعات البيانات الضخمة التي يصعب استيعابها يدويًا (Hitch, 2024). وتحرير الباحث من هذه الأعباء اللوجستية يُتيح له تخصيص طاقته الذهنية لما يستلزم وجوده الإنساني وموقفه المعرفي، وفي مقدمة ذلك التفسير. بيد أن هذه القيمة مشروطة بوعي الباحث بطبيعة ما تُنجزه هذه الأدوات وما لا تُنجزه، وبامتناعه عن الخلط بين الكفاءة التقنية في معالجة النصوص والقدرة على استجلاء المعنى الإنساني العميق.

ثالثًا: لماذا تواجه أدوات الذكاء الاصطناعي تحديات في التفسير الإيميك؟

يمكن فهم تحديات أدوات الذكاء الاصطناعي في التفسير من خلال مجموعة من الغيابات البنيوية والتي يصعب تجاوزها بمجرد تطوير النماذج الذكية، لأنها تتعلق بطبيعة التفسير نفسه لا بمحدودية الأداة:

• غياب التجربة المعاشة والانتماء الثقافي

يُعالج الذكاء الاصطناعي نصوصًا ولا يعيش تجارب؛ فهو لا ينتمي إلى ثقافة ولا يحمل تاريخًا شخصيًا ولا يدرك المعنى الضمني الذي تحمله نبرة صوت أو صمت اختياري أو تردد مقصود. والفهم الإيميك يستلزم بالضرورة أن يكون للمُفسِّر موقع داخل شبكة ثقافية حية يدرك من خلالها ما تعنيه الكلمات وما تُخفيه. وهذا الغياب ليس قصورًا تقنيًا مؤقتًا، بل هو غياب بنيوي في صميم طبيعة هذه الأدوات؛ إذ أكد Chatzichristos (2025) أن توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في التفسير يُعيد إنتاج نزعة وضعية مُقنَّعة تُعامل المعاني الإنسانية معالجةً آليةً تدّعي الحياد، في حين أن المعنى الإنساني في جوهره سياق تشاركي يصعب اختزاله في هذه المعالجة. والشاهد التجريبي على ذلك حين أوضحت دراسة Sasiwongsaroj et al. (2024) أن الفهم الإيميك للمتعاقدين اليابانيين في تايلاند استلزم وجود باحثين يابانيين يفهمون الأعراف الثقافية المتعلقة بالاحترام والرسومية، وهو فهم لا يُختزل في أنماط نصية قابلة للمعالجة الآلية.

• ادعاء الحياد وهو يُعيد إنتاج التحيز

يتبنّى الذكاء الاصطناعي خطأً ضمنيًا من الحياد، في حين أن الواقع ما هو إلا إعادة إنتاج التحيزات الموجودة في البيانات التي تتغذى عليها الخوارزميات، والتي تعكس في معظمها ثقافات ولغات ومنظومات معرفية بعينها، مما يجعل ما تُنتجه من "تفسيرات" انعكاسًا لهذا الإيتيكي التدريبي المُضمر لا استجابةً أصيلةً للإيميك الخاص بالسياق المدروس. وما يجعل هذا التحيز أشد خطورةً من تحيز الباحث الإنساني أنه لا يظهر بوضوح ولا يخضع للمساءلة؛ فالباحث الذي يدرك أطره الإيتيكية يستطيع إخضاعها للانعكاسية وتوضيح أثرها للقارئ، أما تحيزات الذكاء الاصطناعي فتُقدِّم مُغلَفةً بلغة

الموضوعية دون أن يُشار إليها. وقد لاحظ Buckley et al. (2014) في سياق مختلف أن الإيتيكية الأخطر هي تلك التي لا تُعلن عن نفسها، وهذا بالضبط ما يُميز "الإيتيكي التدريبي" للذكاء الاصطناعي ويجعله إشكاليةً إبستمولوجية عميقة لا مجرد قصور تقني.

• غياب الانعكاسية بوصفها شرطاً للتفسير

الانعكاسية في جوهرها القدرة على مساءلة الذات وأطرها ومواقفها. وهي كما أوضحت Finlay (2002) شرط التفسير النوعي المسؤول لا إضافة منهجية اختيارية. والذكاء الاصطناعي لا يملك "ذاً" بالمعنى المعرفي والفلسفي، وعليه يواجه صعوبة في ممارسة انعكاسية حقيقية؛ إذ أن الانعكاسية تستلزم وعياً بالموقع، والموقع يستلزم انتماءً، والانتماء يستلزم تاريخاً، وكل هذه المقومات غائبة بنيويًا. وما يستطيعه الذكاء الاصطناعي في أحسن الأحوال هو محاكاة لغوية للانعكاسية، بحيث يُنتج جملاً تبدو انعكاسية في شكلها لكنها تفتقر إلى مضمونها الحقيقي وشرطها الوجودي.

رابعاً: مثال توضيحي: حين تكفي الكفاءة وحين لا تكفي

حين يُكَلَّف الذكاء الاصطناعي بمراجعة عشر دراسات تجريبية حول التفسير النوعي، يُقدِّم تقريراً منظماً يستخرج بدقة السياقات المنهجية والإجراءات والنتائج. وهذا العمل اللوجستي ذو قيمة حقيقية يصعب إنجازه يدوياً بالسرعة والدقة ذاتهما. غير أن التقرير لا يحمل في بنيته تساؤلاً نقدياً: لماذا يهم هذا؟ وقد لا يكشف التناقضات الداخلية بين الدراسات ولا دلالتها في سياق الجدل الأكبر حول التفسير النوعي. ولا يتساءل عن غياب السياقات غير الغربية ولا عن أثره على قابلية النتائج للتعميم. هذه الأسئلة الغائبة بالذات هي التفسير، وهي ما تستلزم حضور الباحث الإنساني بموقعه ومعرفته وتساؤلاته. والفارق هنا ليس كمياً في الكفاءة، بل نوعي في طبيعة الفعل ذاته.

خامساً: نحو استخدام واعٍ ومسؤول

لا تدعو هذه الورقة إلى رفض الذكاء الاصطناعي رفضاً مطلقاً، بل إلى وضوح مفاهيمي صارم في تحديد حدوده، والإصرار على أن التفسير هو جوهر البحث النوعي وما يُميزه، ويبقى مسؤولية الباحث الإنساني وحده. ويمكن صياغة هذه العلاقة في مبدأ إرشادي كالآتي: الذكاء الاصطناعي مساعد لوجستي ممتاز، ولا ينبغي أن يكون قائداً معرفياً. فحين يتم توظيفه فيما يُتقنه (التفريغ والتلخيص والترميز الوصفي)، فإنه يعين الباحث لممارسة ما يصعب على الآلة: التفسير العميق المتجذّر في الوعي الثقافي والانعكاسية المستمرة والموقف المعرفي المُعلن. وهذا المبدأ لا يُحدّد حدّاً ثابتاً للتوظيف المقبول، بل يدعو إلى وعي منهجي مستمر يُمكن الباحث في كل مرحلة من التمييز بين الإغانة اللوجستية المشروعة وتفويض التفسير غير المقبول، وهو ما يسعى الإطار الإرشادي المقترح إلى تنميته وتأطيره.

القسم الرابع: الإطار الإرشادي المقترح

أولاً: فلسفة الإطار ومنطلقاته

لا يُقدِّم هذا الإطار وصفاً منهجية تُنتج التفسير الجيد بصورة آلية، بل يُراد به أن يكون خريطة تُعين على التوجيه. وثمة مفارقة ينبغي الإقرار بها: أي إطار يسعى إلى تأطير التفسير النوعي يقع في مخاطرة اختزال ما هو بطبيعته ديناميكي وموقف في خطوات إجرائية قابلة للتطبيق الميكانيكي، وهو ما يسعى هذا الإطار إلى تجنبه بوعي. وتقوم فلسفة الإطار على ثلاثة مبادئ:

المبدأ الأول: التفسير الجيد يُؤلّد في التوازن بين المنظور الداخلي والمنظور الخارجي للظاهرة لا في الاستقرار على أحدهما فقط. التوازن بين الإيميك والإيتيك ليس مشكلة تُحسَم، بل مصدرٌ للمعرفة يجب أن يُستثمر؛ فحين يسعى الباحث إلى إلغائه بالذوبان الإيميك أو الهيمنة الإيتيكية قد يربك تفسيره ويُجرّده من ثرائه المعرفي.

المبدأ الثاني: الانعكاسية شرط معرفي لا اعتراف بالضعف. الباحث الذي يُدرك موقعه على الطيف الإيميك-الإيتيك ويوضّح أثره في تفسيره، فإنه يمارس أعلى درجات الأمانة المنهجية. وقد أكدت Finlay (2002) أن الانعكاسية أداة معرفية تُعزّز مصداقية التفسير لا تُقوّضها.

المبدأ الثالث: التفسير عملية دائرية لا خطية. المراحل الست لا تسير في تسلسل زمني صارم؛ فكتيراً ما يعود الباحث إلى مرحلة سابقة استجابةً لما يكشفه التعمق في مرحلة لاحقة، وهذه العودة مؤشّر على عمق التحليل لا على قصور في المنهجية وتُجسّد الدورة الإيميكية-الإيتيكية التي اقترحها Galperin et al. (2022).

ثانياً: المراحل الست للإطار

المرحلة الأولى: الانغماس الإيميك الواعي

تستهدف هذه المرحلة دخول عالم المشاركين بلغتهم ومفاهيمهم ومنطقهم الداخلي مع وعي أني بما يجلبه الباحث من أطر إيتيكية، إذ يستلزم تعليقاً مؤقتاً للأحكام المسبقة دون ادعاء تحيدها كلياً. عملياً، تعني قراءة البيانات قراءات متعددة بشكل متأنّ قبل أي ترميز، وتدوين الانطباعات الأولى دون تنقيح، والإنصات لما يتكرر وما يُقال بصياغات مختلفة وما يحضر ضمناً في ثنايا الكلام. ويُوصى بالاحتفاظ بمذكرات (Memos) يتم فيها تسجيل ما يلفت انتباه الباحث، لأن هذه الانتباهات كثيراً ما تحمل بذور التفسير العميق اللاحق. ومن المخاطر المنهجية الانخراط المبكر في الترميز النظري الذي يُحوّل الانغماس الإيميك إلى تصنيف إيتيك مُبكر يُفوّت ما لا تتضمنه أطر الباحث المُسبقة.

أسئلة انعكاسية: ما الذي يلفت انتباهي وما الذي أتجاوزه دون توقف؟ هل أنصت لما قيل أم لما كنت أتوقع سماعه؟ ما الصياغات التي يُكررها المشاركون وما الذي يجعلها مميزة في سياقهم؟

المرحلة الثانية: التأمل الانعكاسي الموقفي

قبل أن يُفسّر الباحث ما استوعبه، تدعو هذه المرحلة الباحث إلى مساءلة صريحة لموقعه المعرفي وعلاقته بالبيانات؛ فالتفسير لا يُمارس من فراغ، بل من موقع يحمل تاريخاً وأطرًا ومصالح معرفية، وإغفال هذا الموقع لا يُلغيه، بل يجعله يعمل في الخفاء. ويُوصى بتخصيص مذكرات انعكاسية (Reflexive memos) يُدوّن فيها الباحث موقفه الإيميك-الإيتيك المعلن وكيف يُتوقع أن يؤثر في مسار التفسير، وهي أداة معرفية فعلية تُتيح مراجعة التفسيرات لاحقاً في ضوء الموقع الذي انطلقت منه. وقد أكد (Sasiwongsaroj et al. 2024) أن الفارق بين الفريق البحثي الذي مارس الانعكاسية الموقفية وذلك الذي أهملها كان فارقاً جوهرياً في عمق التفسيرات.

أسئلة انعكاسية: ما الافتراضات التي أحملها عن هذه الظاهرة قبل قراءة البيانات؟ ما موقعي من المشاركين قريب أم بعيد، مُشارك أم خارجي؟ وكيف يمكن أن يؤثر كل من هذين الموقعين فيما أرى وما أغفل عنه؟

المرحلة الثالثة: التفسير المتدرج من الدلالي إلى الكامن

تُجسّد هذه المرحلة العملية التفسيرية الأساسية، وتسير في مسارين متوازيين: الأول يبدأ بالمعاني الصريحة التي أعلن عنها المشاركون، والثاني يتدرج نحو الكامن والضمني والمسكوت عنه، وهذا التدرج هو ما يُميّز التفسير الناضج عن الوصف المتنكر في ثوبه. ويستلزم تساؤلات منهجية مستمرة: ماذا قال المشاركون؟ ولماذا بهذه الصياغة دون سواها؟ وما الذي لم يقلوه وكان بإمكانهم قوله؟ وما الذي يجعل هذا القول ممكناً أو مستحيلاً في هذا السياق الثقافي بالذات؟ ويستفيد الباحث في هذه المرحلة من البحث النشط عن الحالات السلبية التي أوصى بها (Patton 2015) بوصفها اختباراً للتفسير لا تهديدًا له. وقد وثّق (Berner-Rodoreda et al. 2024) هذا المنطق حين وجدوا أن تباين تفسيرات أفراد الأسرة الواحدة للحدث ذاته كان يكشف دلالات أكثر مما تحمله أوجه اتفاقهم.

أسئلة انعكاسية: هل أتوقف عند المعنى الصريح أم أتساءل عما وراءه؟ ما الذي تكشفه الحالات المخالفة لتفسير السائد؟ هل ثمة أصوات في البيانات تُغرد خارج السرب وكيف أستوعبها دون حذفها؟

المرحلة الرابعة: التوازن بين الإيميك والإيتيك

تُمثّل هذه المرحلة القلب النابض للإطار، وهي حيث يجري الحوار المنهجي الفعلي بين ما أفاد به الإيميك وما تُضيفه الأطر الإيتيكية. الباحث هنا لا يُطبّق الأطر النظرية تطبيقاً مباشراً، بل يُحاورها؛ يُقارب ما استوعبه من عالم المشاركين بأسئلة نظرية من الخارج ثم يعود بما أنتجه الحوار ليطمئن اختياره في ضوء الإيميك مجدداً، في دورة تجعل من الإطار النظري أداة للاستجواب لا قالباً للتصنيف. وتتجلى قيمة هذا التوازن في أنه يحّد من الدوبان الإيميك الذي يجعل البحث مجرد رواية لتجارب الآخرين، ويمنع الهيمنة الإيتيكية التي تجعله مجرد تأكيد للنظريات السابقة. وقد وثّقت دراسة (Weiss 1997) كيف أن الجمع بين المنظورين في تفسير المرض أنتج فهماً يتجاوز ما يستطيع أي منهما وحده تحقيقه، وتُجسّد الدورة الإيميكية – الإيتيكية – الإيميكية التي اقترحها (Galperin et al. 2022) أدق تمثيل منهجي لهذه المرحلة.

أسئلة انعكاسية: ما الذي تُضيفه الأطر النظرية إلى فهمي لما قاله المشاركون مما لا يستطيع الإيميك وحده تحقيقه؟ ما الذي يكشفه الإيميك عن حدود هذه الأطر أو عما تغفل عنه؟ هل ثمة توازن بين ما يقوله الإيميك وما تقترحه الأطر الإيتيكية وماذا أفهم من هذا التوازن؟

المرحلة الخامسة: التجذّر والتحقق

يستلزم التفسير المسؤول أن يكون كل ادعاء تفسيري مُستنداً إلى البيانات استناداً قابلاً للتتبع؛ فالتفسير الذي لا يوضح مصدره عن "من أين جاء هذا؟" يتحول إلى انطباع شخصي مُزّين بلغة أكاديمية. ويتضمن هذا التجذّر بُعدين متكاملين: الرأسي الذي يربط الاستنتاج بشواهد بعينها، والأفقي الذي يتحقق من اتساق التفسير عبر مختلف مصادر البيانات ومشاركها. ويُسهّم في ذلك التحقق من المشاركين (Member Checking) كما ناقشه (Creswell 2018) & Poth، فضلاً عن مراجعة الأقران والتحقق التبادلي بين أعضاء الفريق. وقد وظّف (Berner-Rodoreda et al. 2024) آلية تحقق تمثّلت في قيام باحثين مستقلّين بترميز البيانات بشكل منفصل ثم مقارنة نتائجهما للتحقق من تجدّر التفسيرات لا في توقعات الباحثين المُسبقة.

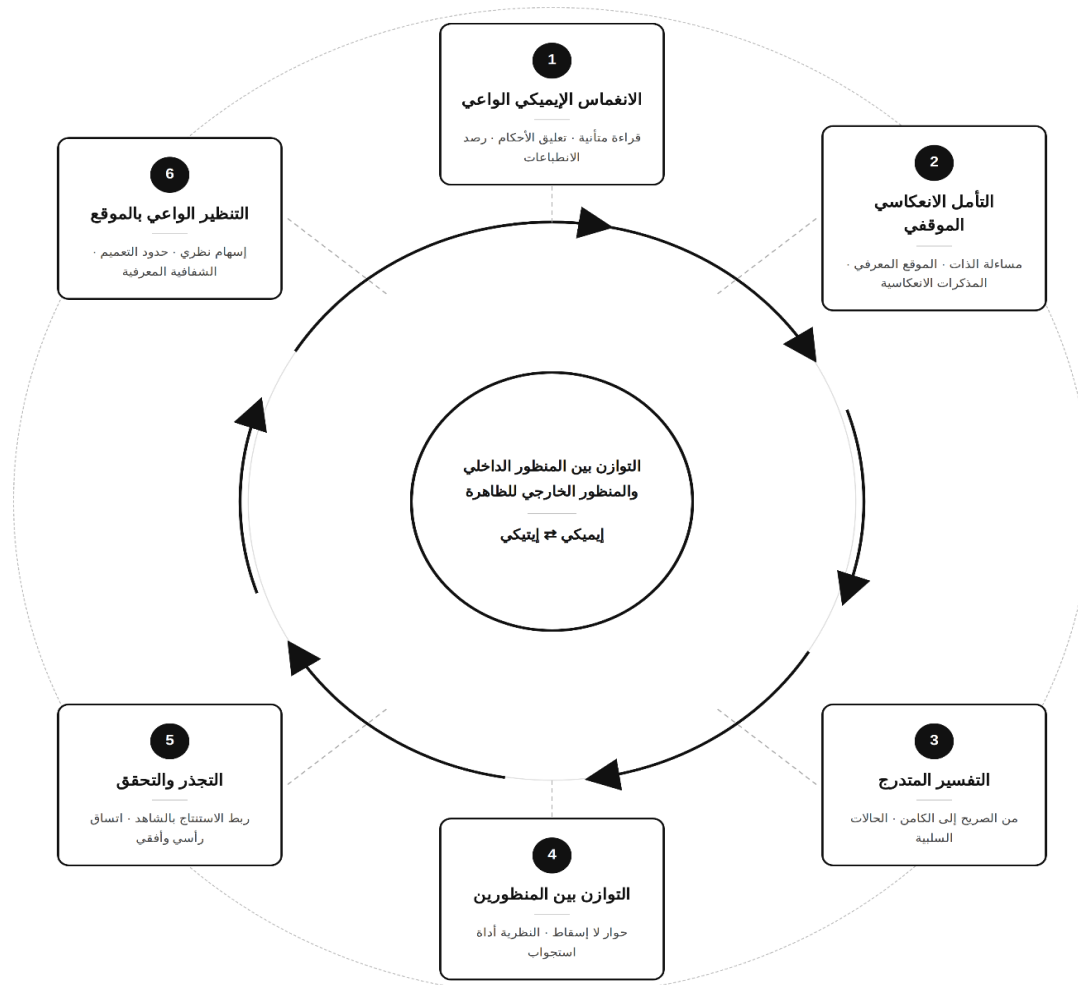
أسئلة انعكاسية: هل أستطيع الإشارة بدقة إلى الشواهد التي تدعم كل استنتاج أطرحه؟ هل استنتاجاتي متسقة عبر مختلف المشاركين أم تعكس حالات استثنائية؟ وكيف تتعامل تفسيراتي مع الحالات التي لا تنسجم معها؟

المرحلة السادسة: التنظير الواعي بالموقف

في هذه المرحلة، يتم ربط نواتج العملية التفسيرية المستخلصة بأطر نظرية أوسع، سواء أكانت قائمة تُختبّر في ضوءها المستخلصات أم ناشئة تُقترح استناداً إلى ما أسفر عنه البحث، وهي المرحلة التي يتجاوز فيها التفسير حدود الحالة الفردية نحو الإسهام في المعرفة النوعية الأشمل. والشرط الجوهري أن يُفصح الباحث عن موقعه المعرفي وعلاقته بالأطر التي يوظفها؛ أي أن يمارس الإيتيكية بوعي وشفافية لا بادعاء الموضوعية المطلقة، إذ أن التنظير الواعي بالموقف لا يعني التخلي عن الطموح النظري، بل ممارسته بأمانة معرفية تُقرّ بأن كل نظرية تنبثق من موقع محدد. وقد لاحظ (Buckley et al. 2014) أن كثيراً من الأطر النظرية العالمية قد تواجه صعوبة عن استيعاب ما يكشفه الإيميك في سياقات لم تنشأ منها، مما يستلزم إما توسيعها وتعديلها أو اقتراح أطر بديلة أكثر استجابة للتنوع الثقافي.

أسئلة انعكاسية: ما الذي يُضيفه بحثي إلى الأطر النظرية القائمة أو يُعيّل فيها؟ ما حدود التعميم المشروع بالنظر إلى السياق الذي أجري فيه البحث؟ وكيف يؤثر موقعي المعرفي في طبيعة الإسهام النظري الذي أقدمه؟

ثالثاً: الشكل التوضيحي للإطار الإرشادي



الشكل (1): نموذج المراحل الست للإطار الإرشادي المقترح (الباحثان)

رابعاً: مثال تطبيقي يتضمن مراحل الإطار الإرشادي

لتجسيد مراحل الإطار في الممارسة الفعلية، سيتم افتراضياً تحليل السيناريو الآتي.

يُجري باحث دراسة نوعية حول تجربة الطلاب مع الفشل الأكاديمي في المرحلة الثانوية، وخلال المقابلة يقول أحد الطلبة: "لا أميل إلى طرح الأسئلة داخل الفصل، لأن السؤال في نظر زملائي دليل على أنني لم أفهم، وهذا يكشف ضعفي أمامهم. أرى أن الصمت أفضل، بعد ذلك أسعى للفهم بمفردي".

المرحلة الأولى: يقوم الباحث بقراءة المقطع قراءات متعددة دون أي ترميز مسبق، فيُدوّن في مذكراته ما يلفت انتباهه مثل: الطالب لا يصف عجزاً معرفياً، بل يصف استراتيجية واعية، وأن الصمت في تصويره فعل حماية لا غياب مشاركة.

المرحلة الثانية: يُسأل الباحث موقعه الإيتيكي صراحةً؛ فإن كان قادماً من خلفية أكاديمية تُعلي من قيمة الأسئلة الصفية وتعدّها مؤشراً على التفاعل الإيجابي، فإن إطاره المسبق سيدفعه إلى تصنيف هذا السلوك مشكلةً تستوجب التدخل، في حين أن الطالب لا يرى هذا السلوك بمثابة مشكلة، بل حلاً. المرحلة الثالثة: يتجاوز الباحث المعنى الصريح ليتساءل عما هو كامن: لماذا يربط الطالب السؤال بالضعف لا بالفضول؟ ما البنية الاجتماعية داخل الفصل التي جعلت هذا الربط ممكناً؟ ومن أين جاءت معادلة "السؤال يساوي الكشف عن القصور"؟ وما الذي يجعل الطالب يُفضّل الفضاء الخاص على الفضاء العام للتعلم؟

المرحلة الرابعة: يُحاوّر الباحث هذا الإيميكى بأطر إيتيكية من أدبيات التعلم والهوية الأكاديمية، فيجد ما يدعم تفسيره في مفهوم "الخوف من الظهور بمظهر غير الكفء" الموثق في أدبيات دافعية الإنجاز، غير أن الإيميكى يُضيف بُعداً ثقافياً يتعلق بمعنى الضعف أمام الأقران في هذا السياق تحديداً، وهو ما لا تستوعبه الأطر العامة وحدها.

المرحلة الخامسة: يعود الباحث للطلاب للتحقق، فيسأله عما يعنيه بـ "أسعى إلى الفهم بمفردي"، فيكشف الطالب أنه يلجأ إلى زميل مقرب خارج الفصل، مما يُظهر أن الصمت الصفّي لا يعني التوقف عن التعلم، بل تحويل مساره إلى فضاء آمن اجتماعياً.

المرحلة السادسة: ينتهي الباحث إلى تفسير واعٍ بموقعه: صمت الطالب ليس سلوكاً سلبياً يعكس انخفاض الدافعية، بل استجابة عقلانية لبيئة صفية تُعاقب على الخطأ اجتماعياً. وهذا التفسير يدعو إلى إعادة النظر في مفهوم "المشاركة الصفية الفاعلة" بوصفه مفهوماً ثقافياً لا حقيقة مسلم بها.

يكشف هذا السيناريو أن الباحث الذي توقف عند المرحلة الأولى كان سيُنْتَجِ وصفًا عن "طالب لا يشارك"، أما الباحث الذي أكمل المراحل الست فقد أنتج تفسيرًا يُعيد تأطير الظاهرة من جذورها ويفتح آفاقًا ما كانت لتتضح لولا المرور بهذه المراحل.

خامسًا: الإطار في مواجهة تحديات التطبيق

لا يدعي هذا الإطار حلَّ التوازن بين المنظور الداخلي والمنظور الخارجي للظاهرة في التفسير النوعي، بل يسعى إلى جعلها مرئية وقابلة للإدارة الواعية. ومن المتوقع أن يواجه الباحث ثلاث تحديات:

- تحدي الوقت والموارد: المرور المتأني عبر المراحل الست يستلزم وقتًا أطول من المناهج الوصفية السريعة، وهو إجراء مهم لتحقيق التفسير العميق إذا كان الهدف هو التفسير العميق.
- تحدي الفردية البحثية: حين يعمل الباحث منفردًا دون فريق يُتيح التحقق التبادلي، يُعوّض ذلك بتوظيف مذكرات الانعكاسية والبحث الصريح عن الحالات المخالفة بدلاً منهجيًا مقبولا.
- تحدي التوازن: إيجاد التوازن الصحيح بين الإيميك والإيتيك ليس معادلة رياضية، بل حكمًا مهنيًا يتطور بالممارسة والتأمل المستمر، ولهذا يبقى الإطار دليلًا للتفكير لا خوارزمية للتطبيق.
- وما يُميّز هذا الإطار عن الأدوات المنهجية التقنية أنه يعلن صراحةً أن التفسير الجيد لا يُفَوّض ولا يُخْتَرَل في خطوات ميكانيكية، بل يستلزم باحثًا يحمل وعيًا بموقعه وانعكاسية في تعامله مع البيانات واستعدادًا للتعلم في التوازن بين الإيميك والإيتيك دون تغليب أي من الطرفين.

ملخص الإطار الإرشادي المقترح:

يقوم الإطار على ثلاثة مبادئ فلسفية جوهرية: أن التفسير الجيد يُؤد في التوازن بين الإيميك والإيتيك لا في حسمه، وأن الانعكاسية شرط معرفي أصيل لا اعتراف بالضعف، وأن التفسير عملية دائرية تُتيح العودة إلى مراحل سابقة كلما اقتضى التعمق ذلك. ويتنظم الإطار في ست مراحل:

المرحلة الأولى، الانغماس الإيميك الواعي: قراءة البيانات قراءات متعددة قبل أي ترميز، مع تدوين الانطباعات الأولية في المذكرات، وتجنب الترميز النظري المبكر الذي يُحوّل الانغماس إلى تصنيف إيتيك قبل الألوان.

المرحلة الثانية، التأمل الانعكاسي الموقفي: مساعلة الباحث لموقعه المعرفي وأطره الإيتيكية قبل الشروع في التفسير، عبر مذكرات انعكاسية تُوضّح أثر هذا الموقع فيما يرى وما يغفل عنه.

المرحلة الثالثة، التفسير المتدرج من الدلالي إلى الكامن: الانتقال المنهجي من المعاني الصريحة إلى الضمنية والمسكوت عنه، مع توظيف الحالات المخالفة أداة لتعميق التفسير لا عقبة تُتجاهل.

المرحلة الرابعة، التوازن الناتج عن المنظور الإيميك الإيتيك: إجراء حوار منهجي فعلي بين عالم المشاركين والأطر النظرية وفق دورة إيميكية - إيتيكية - إيميكية، تجعل من النظرية أداة للاستجواب لا قالبًا للتصنيف، مع الوقاية من قطبي الذوبان الإيميك والهيمنة الإيتيكية.

المرحلة الخامسة، التجذر والتحقق: ربط كل استنتاج تفسيري بشواهد بعينها (البُعد الرأسي)، والتحقق من اتساقه عبر مختلف المشاركين والمصادر (البُعد الأفقي)، مع توظيف التحقق من المشاركين ومراجعة الأقران حين يكون ذلك متاحًا.

المرحلة السادسة، التنظير الواعي بالموقف: ربط المستخلصات بأطر نظرية أوسع مع الإفصاح الصريح عن الموقع المعرفي، وتقديم إسهام نظري يُقرّ بحدود التعميم ويدعو إلى توسيع الأطر القائمة أو اقتراح بدائل أكثر استجابة للتنوع الثقافي.

وبواجه الإطار في تطبيقه ثلاث تحديات رئيسية: تحدي الوقت والموارد، وتحدي الفردية البحثية، وتحدي إيجاد التوازن بين المنظورين، وكلها تُعالج بالوعي المنهجي المستمر لا بالإجراءات التقنية الجاهزة. والجامع بين مراحل الإطار الست أن التفسير الجيد لا يُفَوّض ولا يُخْتَرَل، بل يستلزم باحثًا واعيًا بموقعه، منعكسًا على أطره، منغمسًا في تحليل التوازن بين المنظورين.

الخاتمة:

يعد التفسير النوعي فعلًا إستمولوجي موقفي، يتشكّل في التوازن بين المنظور الإيميك الداخلي والمنظور الإيتيك الخارجي، حيث إن هذا التوازن ليس عتبة تُحسَم، بل المحركُ الأصيل للمعرفة النوعية الحقيقية. وحين يسعى الباحث إلى تصفية أحد المنظورين لصالح الآخر فإنه يحد من دقة تفسيره ويُحوّله إلى شيء أدنى مما يدّعيه.

وقد أضافت الأدلة التجريبية لهذه الحجة ثلاثة أبعاد: أولها، أن موقع الباحث على الطيف الإيميك-الإيتيك متحرك لا ثابت (Hoare et al., 2013)، ثانياً، أن الهوية المشتركة مع المشاركين قد تُعقّد هذا التوازن لا تُلغيه (Olive, 2014)، وثالثها، أن ما يبدو إيميكًا خالصًا قد يحمل إيتيكية مُضمرة تتسرب عبر الأيديولوجيات المهنية والثقافية (Weiss, 1997).

أما الذكاء الاصطناعي فيقف خارج هذا التفاعل بحكم طبيعته البنيوية: إذ لا ينتمي إلى ثقافة ولا يحمل تاريخًا ولا يستطيع مساعلة ذاته. وتفويضه التفسير يُنتج وصفًا آليًا يحمل قناع لغة التحليل في ظاهره، وما هو إلا عودة ضمنية إلى الوضعية في ثوب رقمي (Chatzichristos, 2025)، ونزع للإنسانية

عن عملية إنسانية بطبيعتها (Brailas, 2025). والسلوك المناسب أن يتم توظيفه فيما يُتقنه من مهام لوجستية مع التأكيد على أن عملية التفسير مرتبطة جوهرياً بدور الباحث.

وخلاصة القول، تُسهم هذه الورقة من خلال أربعة مستويات متشابهة: تأصيل مفهوم التفسير النوعي وتمييزه عن الوصف والتحليل بوصفه فعلاً إبستمولوجياً موقفيًا لا إجراءً تقنيًا، وتوظيف ثنائية الإيميك والإيتيك كأداة نقدية في الأدبيات العربية المتخصصة في سياق البحث النوعي، وتقديم إطار إرشادي مكون من ست مراحل، يتم من خلاله تجسيد التوازن بين المنظور الداخلي والمنظور الخارجي للظاهرة كممارسة قابلة للتوظيف، وتبسيط الضوء على أصالة التفسيرية الإنسانية في مواجهة منطق التفويض الرقمي الذي يُعيد إنتاج الوضعية في ثوب معاصر.

التوصيات:

أولاً: الباحثون النوعيون الممارسون

يقع على عاتق الباحث النوعي مسؤولية منهجية صريحة تتمثل في وعيه المستمر بموقعه المعرفي وأثره على التفسير، إذ لا تُعد الانعكاسية ترفاً منهجياً، بل شرطاً لصدق البحث. ويمتد هذا الوعي ليشمل مواجهة الحالات السلبية باعتبارها كاشفةً لحدود التفسير لا مُعطلةً له، مع الحرص الدؤوب على الاتقاء من مستويات الوصف السطحي إلى عمق التأويل، وتوثيق هذا المسار كاملاً في الكتابة البحثية بشفافية تُتيح للقارئ تتبع منطق الاستنتاج.

ثانياً: المؤسسات الأكاديمية وبرامج تدريب الباحثين

لا يكفي تعليم مناهج البحث النوعي إجراءات وخطوات، بل المطلوب تنشئة باحث يُدرك الفارق الجوهري بين الوصف والتحليل والتفسير، ويعي موقعه المعرفي من مادة بحثه. ويستلزم ذلك إعادة تقديم ثنائية الإيميك والإيتيك في السياق العربي باعتبارها أداةً منهجية حية لا مفهوماً نظرياً مستورداً، مع تحويل الإشراف الأكاديمي من مراجعة الإجراءات إلى حوار نقدي حول التفسيرات ذاتها ومدى تجذرها في البيانات.

ثالثاً: الباحثون في توظيف الذكاء الاصطناعي في البحث النوعي

يطرح توظيف الذكاء الاصطناعي في البحث النوعي تحدياً جوهرياً لا تقنياً، إذ تكمن الخطورة الحقيقية في التفريط الضمني في مسؤولية التفسير وتحولها إلى آلة. ويستوجب ذلك تحديد سياسة استخدام واضحة تُبقي مهمة التأويل حكرًا على الباحث الإنساني، مع إفصاح صريح في الكتابة البحثية عن دور الأداة الرقمية في كل مرحلة، والسعي إلى بناء معايير تقييم تُميّز بين من وظّف الذكاء الاصطناعي أداةً مساعدة في التفسير ومن فوّضه التفسير نيابةً عنه.

References:

- Ali, S., Weir, D., AlQahtani, M. S., & Mrabet, M. (2024). Emic and etic perspectives on HR practice for managing human resource issues affected by the prevalence of informal networks in Arab countries. *Administrative Sciences*, 14(10), Article 236. [DOI]
- Almanna, A., & Farghal, M. (2015). An emic-etic approach to translating cultural expressions between Arabic and English. *Jordan Journal of Applied Science: Humanities Series*, 17(1), 151–160. [DOI]
- Berner-Rodoreda, A., Baum, N., Wachinger, J., Zangerl, K., Hoegl, H., & Bärnighausen, T. (2024). Taking emic and etic to the family level: Interlinking parents' and children's COVID-19 views and experiences in Germany. *BMC Public Health*, 24(1), Article 1595. [DOI]
- Brailas, A. (2025). Artificial intelligence in qualitative research: Beyond outsourcing data analysis to the machine. *Psychology International*, 7(3), Article 78. [DOI]
- Braun, V., & Clarke, V. (2006). Using thematic analysis in psychology. *Qualitative Research in Psychology*, 3(2), 77–101. [DOI]
- Braun, V., & Clarke, V. (2021). *Thematic analysis: A practical guide*. SAGE.
- Buckley, P., Chapman, M., Clegg, J., & Gajewska-De Mattos, H. (2014). A linguistic and philosophical analysis of emic and etic and their use in international business research. *Management International Review*, 54(3), 307–324. [DOI]
- Chatzichristos, G. (2025). Qualitative research in the era of AI: A return to positivism or a new paradigm? *Qualitative Research*. Advance online publication. [DOI]
- Creswell, J. W., & Poth, C. N. (2018). *Qualitative inquiry and research design: Choosing among five approaches* (4th ed.). SAGE.
- Finlay, L. (2002). Negotiating the swamp: The opportunity and challenge of reflexivity in research practice. *Qualitative Research*, 2(2), 209–230. [DOI]
- Galperin, B. L., Punnett, B. J., Ford, D., & Lituchy, T. R. (2022). An emic-etic-emic research cycle for understanding context in under-researched countries. *Management and Organization Review*, 18(3), 453–478. [DOI]
- Geertz, C. (1973). *The interpretation of cultures*. Basic Books.
- Harris, M. (1976). History and significance of the emic/etic distinction. *Annual Review of Anthropology*, 5, 329–350. [DOI]
- Headland, T. N., Pike, K. L., & Harris, M. (Eds.). (1990). *Emics and etics: The insider/outsider debate*. SAGE.

- Hitch, D. (2024). Artificial intelligence augmented qualitative analysis: The way of the future? *Qualitative Health Research*, 34(7), 595–606. [DOI]
- Hoare, K., Buetow, S., Mills, J., & Francis, K. (2013). Using an emic and etic ethnographic technique in a grounded theory study of information use by practice nurses in New Zealand. *Journal of Research in Nursing*, 18(4), 291–301. [DOI]
- Jackson, M. S., & Niblo, D. (2003). The role of qualitative methodology in cross-cultural research. *Qualitative Research Journal*, 3(1), 18–27.
- Marshall, D. T., & Naff, D. B. (2024). The ethics of using artificial intelligence in qualitative research. *Qualitative Inquiry*. Advance online publication. [DOI]
- Olive, J. L. (2014). Reflecting on the tensions between emic and etic perspectives in life history research: Lessons learned. *Forum Qualitative Sozialforschung / Forum: Qualitative Social Research*, 15(2), Article 6. [DOI]
- Patton, M. Q. (2015). *Qualitative research & evaluation methods: Integrating theory and practice* (4th ed.). SAGE.
- Pike, K. L. (1967). *Language in relation to a unified theory of the structure of human behavior* (2nd ed.). Mouton.
- Sasiwongsaroj, K., Ono, M., Duangkaew, S., & Kimura, Y. (2024). Emic and etic perspectives in transnational migration research: Methodological reflections of a cross-national research team. *Qualitative Research Journal*, 24(2), 112–125. [DOI]
- Smith, J. A., Flowers, P., & Larkin, M. (2009). *Interpretative phenomenological analysis: Theory, method and research*. SAGE.
- Tracy, S. J. (2010). Qualitative quality: Eight "big-tent" criteria for excellent qualitative research. *Qualitative Inquiry*, 16(10), 837–851. [DOI]
- Weiss, M. (1997). Explanatory model interview catalogue (EMIC): Framework for comparative study of illness. *Transcultural Psychiatry*, 34(2), 235–263. [DOI]
- Williams, M. (2024). Paradigm shifts: Exploring AI's influence on qualitative inquiry and analysis. *Frontiers in Research Metrics and Analytics*, 9, Article 1331589. [DOI]
- Wolcott, H. F. (1994). *Transforming qualitative data: Description, analysis, and interpretation*. SAGE.